دور التربية الإيمانية الصحيحة في بناء المجتمع

في ضوء رسائل النور

الأستاذ المشارك الدكتور

محمد سعيد المجاهد[1].

يهدف هذا البحث إلى بيان دور التربية الإيمانية في بناء المجتمع بناءً صحيحًا، فجاءت الدراسة للإجابة عن السؤالين الآتيين: هل للتربية الإيمانية دور في تماسك المجتمع وبنائه، وما هي الأسس والخصائص التي تبرز هذا الدور؟ ولقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي للوصول إلى هذه الأسس، ثم التحليلي لبيان دورها في البناء، ولقد توصل البحث إلى نتائج كثيرة لعل من أهمها: أن للتربية دورًا بارزًا في بناء المجتمعات، وأن من أهم أسسها أنها تربية تكاملية، متوازنة، لا تقف عند القول بل تتعداه إلى السلوك الحياتي للفرد والمجتمع، كما أنها تجمع بين المسؤوليتين الفردية والجماعية، وتركز على تقوية جانب المراقبة لله تعالى، وترعى الفطرة الأصلية للإنسان وتنميها، وتوجه الإنسان نحو الخير، وهي مستمرة لا تقف عند حد، مع كونها تجمع بين المحافظة على المبادئ السماوية والانفتاح والاستفادة من كل جديد مفيد.

(1) أستاذ مشارك، قسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان.
almujahed@squ.edu.om
سابقًا: أستاذ مشارك، قسم الفقه وأصول الفقه، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا
said.almujahed@gmail.com

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وبعد:

فهذه ورقة عمل أحببت أن أشارك فيها في مؤتمركم الكريم المنعقد في الجامعة الإسلامية العالمية تحت شعار: **الوسطية والمجتمع الفاضل في فكر سعيد النورسي**.

ولقد جعلت لهذه الورقة عنوانًا هو

دور التربية الإيمانية الصحيحة في بناء المجتمع في ضوء رسائل النور.

بدايةً؛ لا بد لي أن أذكر أن سيرة الإمام بديع الزمان- والذي يشرف هذا المؤتمر برفع اسمه شعارًا له- تُجسِّد الواقع العملي للأسس التي قام عليها هذا البحث؛ ذلك لأن حياته العلمية والدعوية والجهادية أظهرت التربية الإيمانية التي تربى عليها إمامنا، فكان اللسانَ العملي الناطق لتلك الأسس النظرية، فرحمه الله رحمة واسعة.

إن للتربية الإيمانية الصحيحة دورًا رياديًا في بناء المجتمع وتقويته؛ لأنها تهدف إلى الحفاظ على الفطرة النقية، التي ذكرها ربنا بقوله: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30]، والتي عبَّر عنها النبي ﷺ بقوله في الحديث الذي يرويه الشيخان عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ))[1].

إن لهذه التربية الإيمانية خصائصَ تميزها وتبرز أهميتها في ذلك البناء، لعل من أهمها ما يأتي:

([1]) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين (1319)- ومسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود 00(2658) **والجدع**: قطع الأنف والأذن أو غيره.

إنها تربية تكاملية: لا تركز على أحد جوانب الإنسان، وإنما تعتني بالتنشئة المتكاملة للإنسان جسمًا وعقلًا وسلوكًا ووجدانًا، وتهتم بالعلاقات بين الإنسان وغيره، وبينه وبين ربه؛ اسمع إلى مُنَزِّل هذا الوحي وهو يقول سبحانه: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ} [البقرة: 85]، فهذه التربية المتكاملة تحرر العقل من الأوهام، وتحرر النفس من العبودية لغير الله، وتحرر الجسم من الوقوع في أسر اللذات والشهوات، وتقيم علاقات بين الناس قِوامها الأخوة والمساواة والعدل والحب.

وفي هذا يقول المفكر سعيد النورسي: "ولكن إذا ما صان نفسه بتربية القرآن، ووقاها بحقائق رسائل النور فسيكون شابًا رائدًا حقًا، وإنسانًا كاملًا، ومسلمًا صادقًا سعيدًا، وسلطانًا على سائر المخلوقات[1]".

إنها تربية متوازنة: تحرص على تحقيق التوازن الدقيق المعجِز بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة، وترفض التطرف إنْ في الجانب المادي -الشهوات- أو في الجانب الروحي —الرهبانية-؛ قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص: 77]، وقال سبحانه عن الأمم السابقة التي قرر بعض كبرائها ترك الزواج والترهب: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} [الحديد: 27]، وعن أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؛ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[2].

وانظروا معي إلى مفكرنا النورسي وهو يحاور الشباب فيقول لهم: " اعلموا أن ما تتمتعون به من ربيع العمر ونضارة الحياة ذاهبٌ لا محالة، فإن لم تُلزموا أنفسكم بالبقاء ضمن الحدود الشرعية، فسيضيع ذلك الشباب ويذهب هباءً منثورًا، ويَجرّ عليكم في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة بلايا ومصائبَ وآلامًا تفوق كثيرًا ملذات الدنيا التي أذاقكم إياها.. ولكن لو صرفتم ربيع عمركم في عِفّة النفس وفي صَوْنِ الشرف وفي طاعة ربكم بتربيته على الإسلام، أداءً لشكر الله تعالى على ما أَنْعَمَ عليكم من نعمة الفتوة

([1]) الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي -شركة سوزلر للنشر- ط 1.ص 522.

[2] **رواه البخاري**، كتاب:النكاح، باب:الترغيب في النكاح (4776)-**ومسلم**،كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن.....(1401)

والشباب، فسيبقى ويدوم ذلك العهدُ معنىً، وسيكون لكم وسيلة للفوز بشباب دائم خالد في الجنة الخالدة[1]".

إنها تربية سلوكية وعملية: فلا تكتفي بالقول وإنما تركز على الفعل والسلوك والعمل، ويتضح هذا في أسس الإسلام الخمسة التي تقتضي القول والممارسة؛ فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[2].

كما يتضح ذلك من أسلوب مخاطبة الله سبحانه للمؤمنين حيث قرن الإيمان بالعمل الصالح؛ قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107)} [الكهف: 107].

لقد جسَّد لنا القرآن الكريم تلك التربية السلوكية واقعًا عمليًا على أصحاب النبي ﷺ، ولم يجعل للإيمان قدسية ما لم يقترن بالعمل الصالح، فهذا طُعْمَة بن أبيرق يسرق دِرعًا، فلما طُلِبت الدِّرعُ منه رمى واحدًا من اليهود بسرقتها، ولما اشتدت الخصومة بين قومه وبين قوم اليهودي جاء قوم طُعْمَة إلى النبي ﷺ، وطلبوا منه أن يعينهم على مقصودهم، وأن يلحق الخيانة باليهودي، فهمّ الرسول ﷺبذلك فنزلت الآيات من السماء تتلى –في صلاة المسلمين، وعند تقربهم إلى رب العالمين إلى يوم الدين– تبرئ اليهودي؛ يقول تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (106) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (107) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (109) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (110) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (112) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ

([1]) ملحق قسطموني، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي –شركة سوزلر للنشر– ط 1.ص 165.

([2]) **رواه البخاري**، كتاب: الإيمان، باب: بني الإسلام على خمس (8) – **ومسلم**، كتاب: الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام (16)

شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)} [النساء: 105 - 113].

وفي هذا المعنى يقول المفكر سعيد النورسي: "إن أهم وظيفة تقع على عاتق طلاب النور خدامِ القرآن الكريم، في هذا الوقت هي اتخاذُ التقوى أساسًا في الأعمال كلها، ثم التحركُ وفقها أمام تيار الدمار الرهيب المهاجم والآثام المحيطة بهم، إذ يواجه الإنسانُ ضمن أنماط الحياة الاجتماعية الحاضرة مئاتٍ من الخطايا في كل دقيقة، فالتقوى هي التي تجعل -دون ريب- الإنسانَ كأنه يقوم بمئات من الأعمال الصالحة، وذلك باجتنابه تلك المحرمات.

ثم يضرب رحمه الله تعالى مثلًا لذلك بقوله: " ولنضرب مثلًا واحدًا فقط: إن أعظم ركيزة في الحياة الاجتماعية هي توقير الصغير للكبير ورحمة الكبير للصغير، إلا أننا نرى أن هذا الأساس قد تصدع كثيرًا، حتى إننا نسمع أخبارًا مؤلمة جدًا، وحوادث مفجعة جدًا تجاه الآباء والأمهات، تقع من جراء خراب هذا الأساس الراسخ.

ولكن بفضل الله فإن الرسائل القرآنية أينما حلت قاومت الدمار، وحالت دون تهدم هذا الأساس الاجتماعي المتين، بل حاولت تعميره[1]".

ويقول في الخطبة الشامية: "ولو اننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجًا. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام[2]."

إنها تربية تجمع بين الفردية والجماعية: فإذا كان كل مسلم مسؤولًا عن معتقداته وأفكاره وأعماله مسؤوليةً فرديةً أمام الله، فإن كل راع مسؤولٌ مسؤوليةً فردية عن رعيته؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ،

([1]) ملحق قسطموني، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي -شركة سوزلر للنشر- ط 1.ص 161.

([2]) الخطبة الشامية، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي -شركة سوزلر للنشر- ط 1.ص 105.

وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُـــلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[1].

والإسلام ينبذ الأنانية ولا يقيم أيَّ وزن للنعرات العرقية أو العنصرية أو الطبقية أو اللونية؛ فهذا أبو ذر رضي الله عنه يشتم بلالًا، وينسبه إلى العار، فيُخْبَر النبي الحبيب ﷺ بذلك فتأتي التربية الإيمانية الربانية؛ فعَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: ((لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))[2]، ويحث الإنسان على التعاون؛ قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى } [المائدة: 2]، ويروي الطبراني في الكبير عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ))[3].

إن معنى الجماعية في الإسلام تستند إلى أساسين هما:

وحدة الأصل؛ قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} الآية [النساء: 1]، فكل البشر لآدم، وآدم من تراب.

بالإضافة إلى وحدة العقيدة، وهذا هو ما نادى به كل الرسل؛ قال سبحانه: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلام} [آل عمران: 18]، وقال عز اسمه:{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه} [آل عمران: 85]، وقال جل ثناؤه:{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَك} [البقرة: 128].

هذا وتؤكد التربية الإيمانية على أهمية القدوة والوسط الاجتماعي في تنشئة الفرد، وتهتم بتكوين العادات الحسنة منذ النشأة الأولى للطفل بمخالطته للنماذج الطيبة، وإبعاده عن قرناء السوء؛ ويبين لهم الحبيب المجتبىﷺ ذلك بمثل حسي رائع يُلبِس المعنى صورةً حسية؛ فعن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ،

([1]) رواه البخاري،كتاب: الجمعة،باب: الجمعة في القرى والمدن (853)- ومسلم،كتاب: القدر، باب: فضيلة الإمام العادل (1829)

([2]) رواه البخاري،كتاب: الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (30)- ومسلم، باب: إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه (1661) .

([3]) رواه الطبراني في الكبير (10033) (10\86)

وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً))[1].

كما تهتم التربية بالوسط الأسري لأهمية دوره في الحفاظ على نقاء الإنسانية.

التركيز على تقوية جانب المراقبة لله: لأنه مهما بلغت قوة القوانين، فلن تردع الفرد والمجتمع، والفرق بين مراقبة الله تعالى وبين الخضوع للقانون هو فرقٌ بين الالتزام الداخلي والإلزام الخارجي، والإنسان الذي يراقب ربه فإنه يراقبه في السر والعلن ذلك أنه سبحانه: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور} [غافر: 19]، ولذا اهتمت التربية الإيمانية بإيجاد المراقبة الدائمة لله بحيث تعصمه من الشطط والانحراف، وتجعله شرطيَ نفسه.

إنها تربية لفطرة الإنسان: فتسمو بغرائزه، فالإنسان مسلم بفطرته؛ قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} [الأعراف: 172]؛ وقال النبي ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))، فالتربية الإيمانية:

تربية لفطرة الإنسان؛ لأن الإسلام دين الفطرة حيث تتفق كافة تعليماته مع فطرة الإنسان وطبيعة تكوّنه الجسمي والروحي والوجداني... إلخ، فأساس التكليف في الإسلام الاستطاعة؛ قال تعالى:{لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}.

وتربية للفرد على الاعتدال؛ قال تعالى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا}، وقال:{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِين}، دون أن يُحْرَم الإنسان الطيبات؛ قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأعراف: 32]، ولكنه ينظم ويهذب إشباع الإنسان لدوافعه بشكل يتفق مع مبادئ الإسلام أو الشريعة الإسلامية؛ قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ } [الأعراف: 33].

التربية الإيمانية توجه الإنسان نحو الخير: يقول تعالى مخاطبًا نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين}، ويقول تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

([1]) رواه البخاري، باب: المسك (5534)- ومسلم، باب: استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء (146) .

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}، فالتربية الإيمانية موجهة باستمرار إلى ما فيه خير الفرد دنيويًّا –جسميًّا وروحيًّا واجتماعيًّا، وفي الآخرة حيث يفوز برضوان الله والجنة، والإسلام يربي الإنسان على الخلق الفاضل وحسن معاملة الناس وحب الآخرين؛ فعن أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[1].

هذا وتستهدف التربية الإيمانية الحفاظ على مقصود الشرع من حفظ للدين والعقل والعرض والنفس والمال، هذه المقاصد التي يدور حولها العلماء في هذا العصر في معرفة الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة.

التربية الإيمانية تربية مستمرة: فهي تستمر مع الإنسان من المهد إلى اللحد، حيث يجب على المسلم التزود باستمرار من العلوم بكافة أنواعها؛ يقول سبحانه:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء}، وينبهنا بل يطالبنا القرآن الكريم بإمعان النظر والتأمل والتفكر في مخلوقات الله؛ لأن أي تفكير صحيح – في النفس أو في التاريخ أو في الكون– سوف يدعم الإيمان الكامل اليقيني بوحدانية الله سبحانه.

التربية الإيمانية محافظة ومجددة: فهي محافظة بما تقوم عليه من مبادىء سماوية خالدة، وتقاليد ثابتة، وقيم أصلية تمتد بجذورها إلى ما يزيد على أربعة عشر قرنًا من الزمان، وتعمل التربية الإيمانية على ترسيخ هذه المبادئ في نفوس النشء، وصياغة الشخصية الإسلامية المتكاملة التي تؤمن بربها وبالرسل والكتب والملائكة واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

غير أن التربية الإيمانية ليست جامدة ولا متحجرة فهي تصلح لكل زمان ومكان، والمسلمون تتجدد أحوالهم المعيشية بتغير الأزمنة –مع الاحتفاظ بالمبادئ والقيم الإسلامية– ولهذا يجب على التربية الإيمانية أن تنقل للنشء كل علوم العصر المادية التي لا تتعارض مع القيم الإسلامية من أجل رفع شأن المسلمين والنهضة المستمرة بالمجتمع الإسلامي والوفاء بالمطالب المتجددة للمسلمين.

وفي الختام نصل إلى أهمية هذه التربية الإيمانية في بناء مجتمعاتنا، ولعلنا لا ندرك أبعاد هذه التربية الإيمانية؛ لأننا نعيشها واقعًا في سلوكيات بعض المسلمين، وإن كان بعضهم قد تنكب عن الجادة وابتعد عن تلك التربية، ولكن هبْ مجتمعنا قد تجرد عن تلك الأسس الإيمانية، فكيف يكون حاله يا ترى!،

([1]) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (13)– ومسلم، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات (1599)

سؤال لا نرغب بأن يكون واقعًا، بل نرجو من الله تعالى أن يعزز ثقة المسلمين بإيمانهم لتزداد مجتمعاتهم قوة وتماسكًا، ولكن التفكير فيه يوضح أهمية هذه التربية، وتلكم الأسس القائمة عليها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات